

## الثورة الكبرى

أطالع كلام العلماء والأدباء والفلاسفة في دعوته ﷺ فأشعر بالفخر وتجري في عروقي دماء الحرية، وتتقدح في رأسي نار الشمم والعزة والأنفة وإذا الذي حصل في مكة يوم بعث الرسول ﷺ ثورة عارمة وزلزال هائل وبركان ناسف عاصف قاصف: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾، يقول ابن سينا: ما طرق العالم ناموس كناموس محمد ﷺ، طالعت كلام علي الطنطاوي وخالد محمد خالد في أول كتاب (رجال حول الرسول ﷺ)، وأبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، وإذا الثورة الكبرى التي طبقت الأرض وفتحت لها السماء وتنزلت من أجلها الملائكة وتهيأت لاستقبال روادها الجنة وقامت محكمة العدل بسببها في الأرض وسقطت الأصنام وسُحقت الوثنية وهدم إيوان الاستبداد واحترقت وثيقة الظلم.

إنها ثورة غيرت الأفكار وطهرت الضمائر وغسلت النفوس وحررت الشعوب وأنقذت المستضعفين وأشرفت بشمسها الأرض وحيّتها الأخيار ورحب بها الأحرار وناصرها كل أبيّ كريم، إنها الثورة التي نقلت رعاة الغنم إلى قادة أمم وسدنة الأصنام إلى حملة أعلام وأبطال إقدام وأصحاب أقلام، إنها الثورة التي دكت معازل الظلم ونسفت ثكنات الإلحاد ودمرت جبروت كسرى وألغت أكذوبة قيصر، أذن بإعلان الثورة بلال على الكعبة، ارتجت المعمورة وانخنست الشياطين وطُهرت الجزيرة وما حولها من الرجس والدنس والخيانة.

ثورة ميثاقها في اللوح المحفوظ وسفيرها جبريل وقائد كتائبها رسول الهدى ﷺ، وجزء عشاقها الفردوس الأعلى، ثورة حولت الأعراب إلى علماء حكماء وإلى شهداء أولياء، وإلى مجددین مصلحين، وإلى قادة فاتحين وإلى حكام عادلين وخلفاء راشدين وأئمة مهديين، ولولم تحصل هذه الثورة لعاشوا أصفاراً، وماتوا صفاراً، ودُفِنُوا أشراراً، ثورة صارت حديث الركبان وقصة السمر وحكاية المجالس وأنشودة

عذبة على كل الشفاه: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾، تقوم الثورات في العالم لتحرير الأرض أو تغيير النظام أو الاستيلاء على المكاسب أو الفوز بمجد دنيوي، لكن الثورة المحمدية جاءت بالوحدانية لله والكرامة للإنسان والطهارة للأرض والعمل للأخرة والصالح للبشر والعمار للكون، فهي للبدن والروح والدنيا والآخرة والغيب والشهادة والحاكم والمحكوم والذكر والأنثى، إنها ثورة أعادت لدنيا بهجتها وللأيام جمالها وللحياة طعمها وللعمر قيمته وللوجود معناه، ثورة كفلت حق الإنسان ورعاية الحيوان وإنصاف المرأة ونصرة المظلوم وحرية المعتقد والمحافظة على البيئة، ثورة أتت بالأمن الفكري والروحي والمعيشي، فعصمت الأنفس وصانت الدماء وحفظت الأعراض وأحرزت الأموال.

ثورة حرمت السلب والنهب والغدر والفجور والانحراف ونشرت بنود الفضيلة ومعاليم البر وآلات الإخاء ودستور المحبة وقيم المساواة والرحمة والسلام والأمن، كل الثورات بقي أثرها في الذاكرة أو سطوراً في كتاب أو حكاية في مجلس سمر، أما هذه الثورة فهي شغل العالم وهي القضية الكبرى في الأرض، وهي حديث الساعة إلى قيام الساعة، الثورات الأرضية ترايبية طينية أو قومية عرقية أو طائفية حزبية، أما هذه الثورة فربانية عالمية إسلامية محمدية مقدسة نبوية ورحمة إنسانية، ثورة قادها العرب وحياتها الأكراد ورحب بها الأتراك وشارك فيها التركمان واستقبلها الهنود وفرح بها الأحابيش، ثورة ارتج لها سور الصين العظيم وهوى على دويها حكم الفرس وانهار بزلزالتها كيان هرقل وانهدم بزحفها جدار الجبابرة والقيصرة والأكاسرة، ثورة كبر أبطالها في مكة، وصلوا في القاهرة، وأذنوا في دمشق وخطبوا في صنعاء ودرسوا في الزيتونة وأنفوا في القيروان، وأنشدوا في الحمراء واستشهدوا في السند، ثورة قام بسببها مئات الدول وآلاف الجامعات وملايين الكتب، فهي ثورة العلم والتعليم والبناء والتعمير، والنهضة والرقي والتحرير والتنوير، والاختراع والإبداع والعبقرية والنبوغ، لتسقط كل ثورة قبلها وبعدها، ولتعش هذه الثورة ثورة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ).



## قال الأستاذ الكاتب المعروف (قينان الغامدي) بجريدة الوطن: (\*)

إن كنت من قراء (عائض القرني) فتابع مقالي واسمح لي أن أسألك، ولاحظ أنني قلت عائض بدون ألقاب لسببين: أولهما أنك حتماً عرفت من أقصد، وثانيهما وهو الأهم: أنني أريد أن يعرفه الناس دون الألقاب؛ لأنني عندما أسمع مثلاً اسم: مالك بن نبي، لا أحتاج إلى أن يعطيني أحد سيرته الذاتية، ولا الألقاب التي أسبغت عليه، وهكذا غيره من عظماء المفكرين والمؤلفين في مختلف الفنون. والآن إلى السؤال: من هو عائض القرني؟ سأحاول التوضيح: عندما تستمع للقرني متحدثاً، أو تقرأ له نائراً مقالات أو كتباً وما أكثر ما يتحدث وما يكتب، أو تقرأ له نظماً، وما أكثر ما نظم، فبمن يذكرك؟ في النثر هل يذكرك بمحمد محمد حسين، أو سيد قطب، أو مالك بن نبي، أو الرافعي، أو بديع الزمان الهمذاني، أو كانت أو هيجل أو ماركس أو فيلبي أو أبو عبد الرحمن بن عقيل، أو المودودي أو ابن تيمية، أو بعض فقهاء المعتزلة، أو المنفلوطي، أو محمد عابد الجابري، أو فلان أو فلان؟ وفي النظم هل يذكرك بأبي العتاهية، أو صفي الدين الحلي، أو ابن مالك (صاحب الألفية) أو نظام المتون، أو عبد الرحمن العشماوي، أو العقاد، أو أحمد عطار، أو من يشابههم من النظم جيدهم وورديهم؟ عائض القرني حفاظة نسابة مجود للقرآن، جهبذ في الحديث، ضليع في حفظ وتلاوة الشعر، واسع الاطلاع على الفكر والثقافة، القديمة والحديثة شرقاً وغرباً، وهو رجل منبر من الطراز الأول، بل أكاد أقول: لا منازع له، فهو حاضر البديهة، سريع النكتة، خفيف الظل، مليء الجعبة، لا يجد الملل إلى سامعه طريقتاً، وهو صاحب قلم سيال لا تكاد تجد مطبوعة إلا وله فيها مقال، ولا مكتبة إلا وله فيها

(\*) أ/ قينان الغامدي جريدة الوطن ١٩ / ٠٦ / ٢٠٠١ م.

أكثر من كتاب، لكنه عندما يكتب مقاله الأسبوعي في الشرق الأوسط تشعر بأنه منحه من الوقت والجهد والعناية ما لم يمنحه لغيره من كتاباته، ولذلك تشعر هنا بأنك أمام عائن مختلف، ليس في الفكر فقط، بل في الأسلوب واللغة، فهو هنا ذو فكر يتغير ويتجدد ويتطور، وهذه إحدى سمات المفكر المتأمل، ولهذا فهو هنا وفي هذا المقال بالذات يقدم فكر عائن المنتظر بتركيز وعناية شديدين، وهو يقدم عائن الأسلوب، وأسلوبه في الأصل لا شك رفيع، ولفته راقية، ومعجمه ثري، لكنه هنا وفي هذا المقال الأسبوعي يمنح نفسه فرصة للمزيد من الإجابة، واختيار المفردات الدالة، والجمل المسبوكة بعناية، حتى سجمه يجيء رخاءً طبيعياً لا كلفة فيه، ولا اعتساف.

كل هذا، ولكن أمام طفيان ما ينشره الشيخ هنا وهناك، وهدير ما يقوله الواعظ على الشاشات والمنابر؛ خبا وضاع عائن المفكر، الذي أخذه صخب الجمهور إلى وادٍ وارف الظلال، كثيف الشجر، خصب التربة، غزير المياه، لكن ليس فيه منتج واحد يؤكل، ولا فسحة هادئة لتأمل، ولا مجال لمن يمر فيه أن يحتفظ له بذكرى محددة، سوى أنه وادٍ جميل المنظر، وارف الظلال، يصلح للتنزه والتسلية، أما الإقامة أو الزراعة فلها أماكنها الأخرى، ووديانها التي تقدم ما ينفع الناس.

عندما أقرأ في كتب عائن القرنين أو مقالاته المبتوثة هنا وهناك، أو نظمه الذي ينشره بين الحين والآخر؛ فإنه يذكرني بكل تلك الأسماء الكبيرة التي ذكرتها أعلاه وبأكثر منها، فهو كما قلت: قارئ واسع الاطلاع، وأثر الأولين والآخرين عليه واضح، لكنه أثر متناثر، فلديه من بحر كل منهم قطرة، وأحياناً غرفة، فهو يستقي منهم ويضيف إضافات تضيع في الهدير أو الصخب أو الانتشار، لكن في مقاله في الشرق الأوسط لا أجد سوى عائن القرنين المفكر، ولا أدري لماذا لا يصبح فكره وأسلوبه هنا هو القاعدة التي ينطلق منها، ويعود إليها، ويجعل كل ما عدا ذلك هوامش يغيبها شيئاً فشيئاً حتى تذوب في سديم

عائض الجديد؟ ولهذا كان سؤالي في بداية المقال: من هو عائض القرني؟ ماذا أكتب عن عائض اليوم؟ لأنني أقدره وأحترمه وأحبه، وأرتاح لفكره وأسلوبه الجديدين، ولأنه على الرغم من شهرته وتاريخه الذي يبدو طويلاً مازال في مقتبل العمر وعز الشباب، ولا أريده أن ينفق ما تبقى وسط الصخب الجماهيري، والهدير المنبيري، فالكتاب كثيرون، والوعاظ أكثر، أما المفكرون فندرة، وأما أصحاب المشروعات الكبرى فأقل من القليل. وهذا واضح ومعروف على مر التاريخ، لكنهم على ندرتهم وقلتهم؛ هم الخالدون في وجدانات وضمائر الأمم، وعائض القرني مشروع مفكر، ولبنة صاحب مشروع حضاري خالد، والمعطيات كلها لديه، فقط قليل من التأمل والتدبر، وقبلهما التخلص من أدران الصخب وعوالم الهدير.



## التفكير بين الصخب والهدير

أتحفضي أخي الكاتب الأديب المثقف قينان الغامدي في المقال: (عائض القرني المفكر بين والصخب والهدير) بصحيفة الوطن، فأما ثناؤه عليّ فمن لطفه وكرمه -غفر الله لي تقصيري- وأما ملاحظته ونصحه فمحل التقدير عندي، فهو يرى أن أتجه إلى الكتابة والتأمل والاهتمام بالفكرة الناضجة أكثر من الانتشار بالخطب والمحاضرات ومخالطة الجمهور وتشيتت الجهد والطاقة، وكلام أبي عبد الله الأستاذ قينان وافق هوى في قلبي، وقد دل القرآن على أن التفرغ الذهني والبعد عن التشويش منهج جميل للتفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَدَىٰ ثُمَّ نُنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، ومعنى الآية: قل يا محمد، لكفار قريش الذين يكذبون برسالتك، ويرون أنه أصابك جنون: إنني أرشدكم إلى طريقة في التفكير والتأمل أن تخلوا بأنفسكم كل واحد منكم على حدة، أو كل اثنين على انفراد؛ ليكون أهدى للفكر وأصفى للذهن بعيداً عن العامة والضوضاء ثم تتفكروا في المسألة بتجرد.

وفكرة الإقبال على موهبة واحدة واستقراغ الطاقة في تجويدها هي مما أجمع عليه عقلاء العالم ونبلاؤه حتى قال روبرت جرين في كتاب (كيف تمسك بزمام القوة): «بقرة سمينة ولا سبع عجاف»، وكل نابغي البشرية وفضلاء الإنسانية حبذوا الخلوة بالفكر حتى قال دانتي شاعر إيطاليا: «العزلة مملكة الأفكار»، وقد جمعت في كتابي: (عز العزلة) غالب أقوال العلماء والحكماء والأدباء في هذه المسألة، حتى إنني وجدت أن من ترك مشروعاً عملياً خالداً إنما جوّده في اعتزال وخلوة، فالغزالي كتب الإحياء في رحلة طويلة اعتزل فيها الجمهور، فكان هذا الإشراق والنبوغ والألمعية، وابن خلدون كتب المقدمة المذهلة التي هزت

العالم وحيداً منفرداً في قلعة (ألموت) لمدة خمسة أشهر، والسرخسي الحنفي كتب (المبسوط) الكتاب الشهير وهو معتزل في إقامة جبرية، وفي كتاب: (رحلتي الطويلة إلى الحرية) لنيلسون مانديلا يقول: إنني بعد السجن فقدت في الزنزانة متعة التفكير والتأمل وهي نعمة كبرى وكان خير البشر سيد ولد آدم رسول الهدى ﷺ يخلو بغار حراء قبل النبوة الليالي الطويلة وحيداً فريداً يتعبد، ويتأمل، ويفكر حتى أكرمه الله بالوحي ولما سأله أحد أصحابه كما في الترمذي: «ما النجاة؟ قال: كفّ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»، ولما وقعت فتنة ابن الأشعث مع الحجاج فرّ الشعبي العالم الرباني إلى الصحراء، فلما ظفر به الحجاج قال: أين كنت يا شعبي؟ قال: كنت حيث يقول الشاعر:

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّنْبِ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

وفي كتاب (عشاق الكتب) للفرحان أن الروائي الروسي العالمي (تولستوي) كان يقول: إن متعتي أن أكون في غرفة خالية على سرير، ومعني كتب أطلعها، ويقول ابن الجوزي في (صيد الخاطر): لا أعلم أعز للعالم ولا أشرف ولا أهنأ ولا أسعد له من عزلته مع كتبه، وهذا يقوله أيضاً أخي العزيز أبو الطيب المتبني:

(وخير جليس في الزمان كتاب) وفكرة أخي قينان تقبلتها بقبول حسن لأنها

وافقت رغبة دفينة قديمة في قلبي، وكما قال ابن أبي ربيعة:

وذو الشوق القديم وإن تعزى

مشوق حين يلقي العاشقينا

والنصح إذا أتاك من محب منصف يعترف بالإيجابيات، ويذكر السلبيات فإنك تتقبله بنفس رضية، أما غمط الحقيقة عند البعض والتشفي بذكر الأخطاء وإغفال المحاسن وجمع الزلات والفرح بالأخطاء فهذا تطفيف وتزوير، حقه التجاهل والإعراض، وأنا أرحب بمدرسة الإنصاف والتواصل والحوار التي تتوسط

مدرسة الغلو الديني والإقصاء الفكري والقمع الثقافى، فمرحباً بالفكرة الرائدة التي ينسجها قلم أبي عبد الله وأمثاله وشكراً لمن يقول الحقيقة في قالب من الأدب والذوق والحشمة والرقى، وفي المقابل أقول لكل غالٍ ومتطرف من كل فئة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، وأهلاً وسهلاً بالنظرات الجميلة من عيون الأسوياء العقلاء:

وَعَيْنُ الرُّضَاعِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ  
وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا



## ﴿أَفِي اللَّهِ شَكُّ﴾

هذا الجزء من آية كريمة يهز الكون، ويصيح في الأحياء يطلب منهم الإجابة بعدما عرض الله آياته الشرعيّة في كتابه المسطور وآياته الكونية في العالم المنظور، وللاستاذ حمد المرزوق كتاب بهذا العنوان: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكُّ﴾؟ أجاد فيه كل الإجابة وأورد أدلة علميّة ونظريّة وكونيّة ونقل عن كبار العلماء والفلاسفة ما شفى وكفى، وسبب تأليفه الكتاب أنه خلا بكتاب الله متدبراً، ففتح عليه بإجابات صادقة عن أسئلة الحائرين، وأنا أدعو كل إنسان أن يطالع كتابين اثنين إلهيين: كتاب الله المفتوح وهو هذا الكون الهائل العظيم، وكتاب الله المشروح وهو القرآن الكريم، وأنا أنصحك إذا أطلقت نظرك أن تعمل فكرك، وتسال نفسك: مَنْ الذي خلق وأوجد وأبدع وصوّر؟

لقد سافرت من جاكرتا شرقاً إلى لوس أنجلوس غرباً، ومن جبال الكندوش بأفغانستان شمالاً إلى سفوح أثيوبيا جنوباً فوالله لقد شاهدت لوحة هائلة بالحسن من صنع الباري، بحار تتلاطم وأمواج تتصارع وجبال شاهقة كأنها أصابع تسبيح تشير بالوحدانية لله، وصحارى صامته ممتدة في جوفها أسرار وأخبار بمن مرّ على ثراها وسهول خضراء تملأ القلب بهجة والنفوس رضى، مكثت في الطائفة قرابة ثماني ساعات في سماء المحيط الهادي في ليلة مقمرة وأنا أنظر من نافذة الطائرة: يا الله، سكون رهيب مرة أنظر في وجه القمر حسناً وسناء، ومرة أشاهد وجه المحيط زرقاً وبهاء، كون متسع أحياناً تمر الساعات طويلة بالطيران بلا بشر، ومن هم البشري في كون الله الواسع؟ وما قدرتهم أمام قدرة الله الهائلة؟

سبحان من هذا ملكه، ثم تعود لتفتح كتابه المسطور قرآن يتلى ووحى منزل على نبي معصوم، فإذا بالقرآن يدلّك على براهين الوحدانية في الأنفس وآفاق في الديار والبحار والقفار والليل والنهار، المهم أن تغسل فؤادك من المعتقدات

الترايبيّة الخرافيّة الأرضيّة، وأن تكنس ذاكرتك من الأوهام والأفكار الرخيصة التافهة، وتعمل بتوجيهات القرآن في التفكير والتأمل ليزداد إيمانك، ويعظم يقينك وكبار علماء العالم أذعنوا لحقيقة وجود الله تعالى، والمطلوب توحيده سبحانه بالعبادة على منهج شرع الله، وأطالع كتاب: (الله يتجلّى في عصر العالم) وكتاب: (الطب محراب الإيمان)، وكتاب: (الإنسان لا يقوم وحده)، وكتاب (الإنسان ذلك المجهول) فأعجب من سخف الملاحدة وحمقهم، فهم يركبون رؤوسهم في غباء لينكروا نواميس الكون وبراهين الوحدانية وأدلة قدرة الله تعالى، شاهداً جبالاً من السحب تحتنا ونحن في الطائفة يسوقها الله بالرياح سوقاً لبلد ميت؛ ليسقيه ثم يخبرك القرآن بهذا المشهد مفصلاً، رأيت الطير والبهاائم والزواحف والأسماك والحشرات كلها تطلب الرزق، وتصارع من أجل البقاء، وقد أرشدها الله إلى طرق عيشها: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، هناك نملة تجاهد وتحمل الحبة إلى بيتها ثم تقفسها؛ لئلا تنبت ثم تضعها في المخزن، فمن الذي علمها؟

إنه الله العليّ القدير، وهناك نحلة ترحل بين الزهور وتطوف على البساتين ترشف أحلى الثمر والطلع؛ لتصبّه عسلاً مصفى في خلية قامت بصنع بناء هندسي وشركة عاملة بتخصصات متعدّدة، وهناك طائر يبني عشّه بمنقاره ثم يضع فيه بيضه ثم يطعم فراخه؛ حتى يستأنفوا الحياة، فمن الذي أرشد وألهم؟ إنه اللطيف الخبير من الذي ربّب المجرات، ونظّم الكواكب؟ كل شيء بدقة وحكمة: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الرياح، الأمطار، الثمار، الحرارة، البرودة، الفصول، الليل، النهار، الكل بتقدير ونظام وإتقان، بلا زيادة ولا نقصان، فسبحان الملك الديان، افتحوا أبصاركم أيها الناس وبصائركم وتأملوا في جمال الصنع وإتقانه ووقته وحسن الخلق ونظامه ولطفه، ثم قولوا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.



## شاعر عجز عن مدح الله

أعرف شاعراً مشهوراً ما ترك حاكماً، ولا أميراً، ولا وزيراً، ولا تاجراً، ولا شيخ قبيلة، ولا عمدة قرية، ولا حارس عمارة إلا مدحه بقصيدة، وأثنى عليه بمقطوعة، ومدح الناس أحياناً وشكرهم لمقاصد مشروعة أمر لا بأس به، ولكن استغراق العمر وصرف الموهبة في مدح البشر والإعراض عن مدح خالقهم ورازقهم جلّ في علاه أمر محيرٌ يثير الريبة والدهشة، وقد جمعني بهذا الشاعر لقاء، فقلت: يا فلان، أنت صاحب مدائح، فلماذا لا تمدح ربك تتدّس اسمه الذي له الجمال والجلال والكمال؟ فقال: أنا لا أجد معاني مثلكم يا مشايخ، مدح الله.

وأقول له وكل الشعراء: ألا تجدون في خلق الله الباهي وفي صنعه البديع وفي نعمه المتتالية ما يحرك شجونكم لمدحه تعالى؟ وما يثير مواهبكم للثناء عليه سبحانه؟ أما في السماء بنجومها اللامعة وشمسها الساطعة ما يوحي لكم بأبيات ثناء؟ أما في القمر المنير، والجدول والغدير، والماء النмир، ما يدعوكم إلى حمد العلي القدير؟ أما في الحدائق الغناء، والبساتين الفيحاء، والرياض الخضراء، ما ينادىكم لشكر رب الأرض والسماء؟ أما في الجبال الشاهقة، والهضاب الخاشعة، والسفوح المطمئنة، والصحراء الصامتة، ما يحرك قرائحكم بالإعجاب؟ أما في البحر الهائج، والمحيط المائج، والنهر المتدفق، والبحيرة المائدة، ما يهز ضمائركم لتسبحوا الواحد القهار؟ أما ترون الكون لوحةً هائلةً بالحسن؟ أما تشاهدون الآفاق، وهي ترسل رسائل الإبداع والإتقان بصنع الواحد الديان؟ أما تبصرون أحرف الوجدانية، وأسطر الصمدانية، أمامكم في الإنسان والحيوان والزمان والمكان؟

ما لكم لا تتمتعون بروعة الجمال في النجمة واليرقة والورقة والقطرة والحبّة والبذرة والزهرة والشجرة، في إطلالة الصباح، في سكون الليل، في تجلي النهار، في بسمة الفجر، في إقبال الغروب، في إبداع العقل، في طريقة التفكير، في اختلاف

الصور، في تباين المعارف، في أنواع المشاهد والألوان والأحجام والأشكال، في زهرة الطفولة، وميعة الشباب، وجلال الشيخوخة، في مشهد النسل والتكاثر، والموت والفاء، يا شعراء، تسخرون العمر كله في مدح إنسان، يدركه الوهم والنسيان، ولا تمدحون الرحمن، الذي خلق الإنسان وأبدع الأكوان؟ تثنون على عبد فقير حقير يأكل الطعام وينام وتعصف به الأحلام وتلعب به الأوهام، ولا تثنون على الملك العلامّ الفعّال لما يريد ذو العرش المجيد، والبطش الشديد؟

ما لكم تمدحون المخلوق وتسون الخالق، وتشكرون الناقص الفاني الضعيف العاجز المحتاج، ولا تشكرون الكامل الباقي القوي القادر الغني، تبجلون العبد البخيل الشحيح، ولا تبجلون الوالي الجواد السخي لا إله إلا هو، أيها الشعراء، كل عطاء وصلكم من مخلوق فإن أصله من الخالق وكل معروف أو جميل قد حصلت من عليه من عبد فإنما أصله من ملك الملوك، أفلا تمدحونه؟ أفلا تشكرونها؟ أفلا تسبحونها؟ من الذي يولي ويعزل، ويملك وينزع؟ وينصب ويخلع، ويهدي ويضل؟ ويغني ويفقر؟ يضع ويرفع؟ ويقدم ويؤخر؟ ويعز ويذل؟ ويحيي ويميت؟ إلا الله وحده:

فليتك تحلو والحياة مريرة

وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب

إذا صحّ منك الود فاكله هين

وكل الذي فوق التراب تراب

أسف أن كثيراً من شعرائنا وغالب أدبائنا مشغولون بمدح العبيد الفقراء الحقراء الناقصين العاجزين الأموات، ثم لا يمدحون ذا الجبروت والملكوت تقدّس عن الأضداد، والأنداد، والصاحبة والأولاد، تهيم أيها الشاعر، في الثناء على إنسان مثلك مركّب من الطين، مخلوق من التراب، مردود إلى الثرى، محكوم

عليه بالفناء، وتغفل عن الثناء على ذي العزة والجلال الذي جمّل الشمس في ضحاها، ورفع السماء وسوّاها، وبسط الأرض ودحاها، وأنزل المياه وأجراها، وأوجد الخليقة وأغناها، وأضحك البشرية وأبكاها، وخلق الإنسانية وأفتاها، إذا مدحته تعالى أعزك، وإذا شكرته زادك، وإذا عبدته أثابك، وإذا استنصرته نصرك، وإذا استغفرته غفر لك، هو الذي يملك العزة والقوة والسعادة والملك والغنى والمغفرة، والرحمة اطلبها منه وحده، أما ما سواه من الخليقة فهم مثلك مخلوقون عاجزون فقراء ميتون، فهل ميت يطلب من ميت؟! وهل عاجز يمدح عاجز؟! وهل فقير يثني على فقير؟! وهل مقصّر يقدر مقصراً؟! والله غني عن مدحي ومدحك، وعن عبادتي وعبادتك، وعن شكري وشكرك، ولكننا نحن الفقراء إلى فضله، ورزقه ورحمته ومغفرته: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.



## أكبر كذبة في التاريخ

أشكر الفيلسوف الإسلامي الكبير الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري في ردوده القوية الساحقة الماحقة على الملاحدة، وبالخصوص في كتابه (لن تلحد) ولو كان هناك عدل عالمي وإنصاف إنساني لمُنح هذا الموسوعي الأملعي جائزة نوبل، والمقصود أنه تهكّم بالملاحدة، وسخر منهم، وشاركه في ذلك نوابغ العالم، فالعقاد في كتابه (مذاهب ذوي العاهات) خلص إلى أن الملاحدة معاقون عقلياً وأنهم حمقى خالفوا المنطق والعقل والبرهان، وفي سيرة أينشتاين صاحب النظرية النسبية يقول: إن من ينظر في الكون يعلم أن مبدعه وخالقه حكيم لا يلعب بالنرد، وقد سخر الكاتب المصري الشهير أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة من ناطق باسم مركبة الفضاء الروسية كتب في صحيفة البرافدا أن رواد المركبة لم يجدوا الله سبحانه على عرشه، فكتب الزيات مقالة منها: لكنها الشيوعية أرض بلا سماء، ويوم بلا غد، وعمل بلا خاتمة، وسعي بلا نهاية، إنها خرافة لكنها تافهة، ولعنة لكنها ماحقة، وكذبة لكنها كبرى.

وفي مذكرات الرئيس جورج بوش الأب (سيرة إلى الأمام) ذكر أنه زار موسكو؛ لحضور جنازة رئيس الاتحاد السوفيتي الأسبق برجنيف، قال: فوجدت الجنازة مظلمة لا نور عليها؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ولأن بوش نصراني وهم ملاحدة، وللفيلسوف الكبير الروسي سخروف مذكرة أثبت فيها وجود الله سبحانه وبسببها نفاه الحزب الشيوعي إلى صحراء سيبيريا، وفي كتاب ابن عطاء الله يقول في القصص العالمي: إن أستاذ الرياضة في مدرسة ابتدائية بطاشقند سأل الطالب أحمد عن الله أين هو؟ فقال الطالب: الله في السماء، قال الأستاذ: هل رأيت؟ قال الطالب: ما رأيت، ولكن عرفته بمخلوقاته وآياته، وليس كل شيء يا أستاذ، لم نره معناه العدم، فأنت تؤمن بالعقل وما رأيت العقل فغضب على الطالب، وقال لطالب آخر: وأنت تؤمن بوجود الله؟ قال الطالب: نعم، قال الأستاذ وما دليلك

على وجوده؟ قال: يا أستاذ، لو رأينا بيتاً مشيداً ألا يدل على أن له بانيًا بناه؟ ولو رأينا لوحة جميلة ألا تدل على أن لها رسّاماً مبدعاً؟ كذلك هذا الكون العظيم يدل على أن له خالقاً عظيماً.

وقد نقل ابن تيمية إجماع عقلاء العالم من كل الملل والنحل على وجود الخالق سبحانه، وما أنكر ذلك في الظاهر إلا فرعون مع أنه مقر في نفسه بوجود الله، حتى قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾. إن الإلحاد أكبر كذبة في التاريخ، وإن الملاحة معاقون فكراً وحمقى عقلياً ومرضى نفسياً، ولا إله إلا الله أصدق كلمة عرفها الدهر.

ولقد قال المأمون لأحد الزنادقة: أنت تيس وأتيس منك من يصدقك، وقال شمس الواعظين الشيرازي في القصص العالمي: والله إن حماري الأشهب الأجرى أذكى من بندريوف رئيس الحزب الشيوعي في طاشقند، وقال ابن معارف على لسان حمار توما الملحد:

قال حمار الحكيم توما:

لو أنصف الدهر كنت أركب

فإنني جاهل بسيط

وصاحبى جاهل مركب

والرسل الكرام عليهم السلام لم يأتوا فقط بإثبات وجود الله، بل بعثوا بتوحيده جل في علاه وألا يُعبد بحق سواه.



## تصحيح العقيدة

ينبغي علينا نحن المسلمين أن نقوم قومة صادقة علماء ودعاة ومربين وأساتذة لتصحيح عقيدة المسلمين وتنقيتها مما علق بها من الشرك والبدع والخرافات، وهذا أول ما دعت إليه الرسل ﷺ، وهذا أوجب الواجبات وأصل الأصول وهو توحيد رب العالمين - جل في علاه - : توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، كما أتى به الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح بلا انحراف ولا تحريف للكلم عن مواضعه ولا تبديل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، بل نلزم المحجة الأولى التي كان عليها رسولنا ﷺ وآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم لا نزيد ولا ننقص، ولا نقترح من عندنا، ولا نزيد من لدنا، ولا نضيف على الدين ما ليس فيه، يقول تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وفي العالم الإسلامي مخالفات عقديّة كبرى يشيب لها رأس الوليد، ويندى لها الجبين من قبور يتبرك بها، ويطلب عندها الحاجات جعلت مزارات يطاف عندها، ويُناح عليها، وهذا من عمل المشركين، كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٦) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾، وقال ﷺ: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يُعبَد»، وقوله ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وعند مسلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورة إلا طمسها».

أيها المسلمون: عودوا إلى توحيد ربكم سبحانه وتصحيح عقيدتكم والفرار من الشرك والبدع والخرافات التي أوقع البعض فيها أئمة الضلالة ودعاة البدع والتقليد الأعمى والجهل المطبق، ففي العالم الإسلامي قبور توضع عندها النذور،

ويذهب المريض إليها لطلب الشفاء والعقيم لطلب الذرية والمكروب لكشف كربته وهذه لا يقدر عليها إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾، وفي العالم الإسلامي أماكن يذبح عندها لغير الله وكهنة ومشعوذون وسحرة وأفّاكون يُذهب إليهم وقت الملمات والأزمات، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»، وقال: «من أتى عرافاً أو كاهناً لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً».

فيا أيها المسلمون، حذارٍ حذارٍ من الشرك؛ فإنه أعظم الذنوب وأكبر الخطايا ولا يُقبل لمشرك عمل ولا يُعذر له ذنب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، ونحن لا ندعو الناس لمذهب أحدٍ من البشر كائنًا من كان، وإنما ندعو إلى اتباع الكتاب والسنة في العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب وفي كل شأن من شؤون الحياة وليس في الأمة معصوم إلا الرسول ﷺ وما منّا إلا راد ومردود عليه إلا رسول الهدى ﷺ، فقولته حجة على الناس أجمعين ولا حجة لغيره إلا إذا كانت حجته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والواجب علينا أن نهض نهضة قوية؛ لتدارك عقيدة المسلمين، فإنها في كثير من الأقطار في وضع مأساوي، وقد سافرنا ورأينا ما يقض مضاجع المؤمنين، وما يذيب قلوبهم من أناس سُمّوا بالأولياء وهم دجاجة كذابون أفّاكون مزورون يفسدون عقائد الناس ويأكلون أموالهم بالباطل كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُفُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فأين علماء الأمة ودعاتها وقضاتها وأسانذتها ومربوها ومفكروها ومتفقوها الذين تشاغل

الكثير منهم بفروع المسائل، وأغرقوا في الجزئيات، ووقعوا في الجدل العقيم والخلاف المشؤوم والتنازع المذموم وتركوا عامة المسلمين في ليلة ظلماء، وداهية دهياء، يخبطون خبط عشواء، حتى فسدت عقيدتهم، وانطمست أنوار التوحيد في قلوبهم، فالله الله في الرحمة بهم، ولا يكون ذلك إلا بدعوتهم إلى التوحيد الذي هو حق الله على العبيد كما كان عليه القرن الأول من الأئمة والعلماء والمصلحين:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

## حقيقة السلفية

السلفية هي المنهج الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون وتابعو التابعين ومن تبعهم بإحسان قولاً واعتقاداً وعملاً، فكل من اتبعهم ووافقهم في هذا المنهج القويم والصراط المستقيم فهو سلفي، ومن أئمة السلفية بعد الصحابة سعيد بن المسيب والحسن البصري والزهري ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري والأوزاعي وأحمد ابن حنبل ومن وافقهم من الأئمة الأعلام، ومنهج السلفية منهج متكامل في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب والسلوك، ولهم قواعد منضبطة في كل باب من أبواب الشريعة؛ فهم مثلاً في باب الأسماء والصفات يقرون بما أتى عن الله ورسوله ﷺ، ويصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، وقد خالفهم في هذه المسألة طوائف على نسبة في البعد والقرب كالأشاعرة، والمعتزلة، والجهمية المعطلة.

وهم في باب الجهاد يدعون للجهاد في سبيل الله تحت راية إسلامية وولاية شرعية لمقصد شرعي، ولتكون كلمة الله هي العليا مع تحقق المصالح وانتفاء المفسد، وهم مثلاً يعتقدون بمكانة أهل البيت وتوقيرهم واحترامهم وحبهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولكنهم لا يرون أحداً منهم معصوماً غير الرسول ﷺ، بل هم في الإيمان كسائر الصحابة؛ منهم السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه، والسلفيون يوقرون أصحاب الرسول ﷺ، ويعرفون قدرهم ومحاسنهم، ويذنبون عنهم، ولا يخوضون فيما شجر بينهم، بل يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، ولا يجوز أن يُجزأ ويُقسَّم المنهج السلفي، فيقال: السلفية الجهادية مثلاً؛ لأن السلفية منهج متكامل في الإيمان والعبادة والسياسة الشرعية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أحسن مَنْ

تكلم في منهجهم بتأصيل، وأسهب فيه بتفصيل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان في المتأخرين على منهج السلف الإمام محمد بن عبد الوهاب وكثير من العلماء ممن حافظ على منهج السلف، وبقدر موافقة المسلم لهذا المنهج قولاً واعتقاداً وعملاً يكون سنياً سلفياً، وبقدر بعده يكون فيه شيء من المخالفة لمنهج السلف قلّ أو كثر، يقول رسولنا ﷺ في الحديث الصحيح: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». وقال ﷺ: «مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وكانت القرون الأولى المفضّلة هي قرون الخيرية وظهور الدين وانتصار الملة وسيادة الشريعة، كما قال ﷺ في الصحيح: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، وقد توافق بعض الطوائف والأفراد السلف في باب من الأبواب، فلا يقال لهم: سلفيون، وإنما يقال: وافقوا السلف في هذا الباب.

والسلفيون متفقون على أصول الملة، وقد يختلفون في الفروع، فلا يخرجهم هذا من السلفية، كما وقع الخلاف في الفروع بين الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، مع أنّ جمهور أئمتهم وعلمائهم سلفيون.

